الفصل الخامس

البـــــرزخ

لا شك فى أنه أصبح من المؤكد دينيًا وعلميًا بأن الموت هو الباب المشترك، الذى لا تكاد نبلغه حتى تخلع عنده ثوبنا الأرضى. أى جسدنا الفيزيقى "الترابى" والخروج من هذا الباب بالموت، يفضى بطبيعة الحال إلى العالم اللامادى أو عالم الروح الذى نسميه البرزخ.

وبقاء الروح ("النفس – إذ نطلق عليها تجاوزًا "الروح" لما سبق أن شرحناه فى العلاقة بين الروح والنفس) **فى عالم البرزخ موقوت بقيام الساعة والبعث** Resurrection **والبرزخ اسـم يطلق على الحاجز بين شـيئين، وقـد سمى عالم الروح بالـبرزخ لأنه يفصل بين حياتين، هما الحياة الدنيا الموقوتة والحياة الآخرة المقبلة التى تدوم أبد الدهر.**

ولقـد أصبح بحث مدى إمكانيـة اتصال الأحياء فى عالمنا الأرضى بالأرواح التى تعيش هناك من الأمور الوثيقة الاتصال بحياة البرزخ وأيضًا ما إذا كانت ثمة قدرات وساطية لازمة لأحد الجانبين أو كليهما لتحقيق هذه الاتصالات.

هذا وقد أستأثر علماء الدين الإسلامى منذ صدر الإسلام بالبحث فى موضوع البرزخ، ذلك العالم غير المنظور، معولين فى ذلك على تفسـيرهم لكتاب الله وأحاديث الرسـول ﷺ. وتكاد الأبحاث والاجتهادات فى هذا الخصوص أن تدور فقط حول تعريف البرزخ وتحديـد موقعه، وما تلقـاه فيه الأرواح من نعيم أو عذاب. وقد اختلفت آراء المفسـرين بشأنها أشد الاختلاف، إلى حد أنها شملت كل ما يتصور أو يخطر ببال.

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر عندما بدأ علماء الروح مزاولة أنشطتهم وأبحاثهم الروحية ونجحوا فى الاتصال بأرواح الموتى، أمكنهم أن يجمعوا عن "البرزخ" وهو ما يسمونه "عالم الروح"، الكثير من المعلومات التى تتعلق بطبيعته وأوصافه وموقعه وطبيعة الحياة فيه.

ويقـول الدكتور سمير الشـناوى مؤلف كتاب "بعد المـوت تبدأ الحياة فى عالم غير منظور" فى هذا الشأن:

(.. وتتميز أبحاث هؤلاء العلماء بأمرين، أولهما أنها أبحاث معملية تقوم كما قلنا على أساس اتصال فعلى بأرواح المنتقلين من موتانا، فليس فيها مجال لإعمال الرأى أو الاجتهاد

فى تفسير النصوص. هذا فضلاً عن وجود شبه إجماع حول صحة هذه المعلومات. **نظرًا لأنه تم الحصول عليها من عدة دوائر روحية، من مختلف أنحاء العالم، بواسطة علماء موثوق فى قدراتهم، دون أن يعرف بعضهم البعض.** أما الأمر الثانى الذى يميز الدراسات الروحية، هو أن تطور مختلف العلوم وتقدمها فى عصرنا الحاضر ولاسيما علوم الطبيعة، وقد ساعد علماء الروح على ولوج أبواب جديدة لم يطرقها القدامى فى الدراسات الدينية. ومن أهم الموضوعات التى برزت على الساحة هو البحث فى تأثير العقل فى المادة بالنسبة للأرواح المنتقلة، وطبيعة المكان والزمان فى عالمهم..).

وقد يلقى مزيدًا من الضوء على ما تقدم أن العالم الدكتور سير آرثر كونان دويل صاحب الكتاب الشهير "الكشف الجديد – ترجمة د.عبدالعزيز جادو" قد تلقى ما يقرب من عشرين رسالة روحية من مصادر مختلفة وجاءت جميعهًا متفقة تمامًا من حيث المعلومات التى تتضمنها عن عالم الروح.

من أجل ذلك قد نعرض للحياة البرزخية أكثر من زاوية علم الروح، باعتبار معارفه أفسح مجالاً وأكثر وضوحًا من بحوث علماء الدين.. **مع الأخذ فى الاعتبار تمامًا مدى موافقة هذه المعلومات لرأى علماء الدين.**

وعلى ذلك سنتناول وصف الحياة البرزخية مقسمين ذلك إلى عدة عناصر أساسية **بالترتيب التالى:**

– طبيعة البرزخ وموقعه – مراتب علم الروح ومستوياته – أوصاف عالم الروح – أسلوب الحياة فى عالم الروح – مقر الأرواح المنعمة والمعذبة – مظاهر النعيم والعذاب فى عالم الروح.

١ - طبيعة البرزخ وموقعه:

التصق مفهوم الفاصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة "أى البرزخ" عند بعض علماء المسلمين **بمفهوم الزمن** فعرفوه بأنه المدة التى تفصل بين الحياتين (الحياة البرزخية – محمد عبدالظاهر خليفة) – أما الرأى الغالب فقد اتجه إلى اعتباره **فاصلاً مكانيًا**، ولكن اختلفوا فى تحديد موقعه أشد الاختلاف فذهب بعض أصحاب هذا الرأى إلى أن أرواح المؤمنين فى الجنة، شهداء كانوا أم غير شهداء **ومنهم أبى هريرة وعبدالله بن عمر رضى الله عنهما، واتجه آخرون إلى أنها فناء الجنة وعلى بابها**، ويأتيهم من ريحها

وتعذيبها ونعميها ورزقها ويرى سليمان الفارسي وآخرون إلى أن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت وأرواح الكفار في سجين بينما ذهب مالك إلى أن جميع الأرواح مرسلة لا يحدها مكان (الروح – ابن القيم – سر الروح للبقاعي..).

ويرى علماء الروح في الواقع أن السر في البرزخ بوصفه فاصلا بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة. ليس فيما يلحقه من أوصاف الزمان والمكان، فليس له في الحقيقة موقع محدد، وإنما هو يتميز بطبيعته الاهتزازية التي تختلف عن درجة اهتزاز كلا العالمين. وقد سبق أن قدمنا بأن عالم الروح عالم أثيري لا يعرف المادة ولا يعترف بها. إذا أنه يتمتع بدرجة اهتزاز عالية إذا ما قورن بالحياة المادية على الأرض – ونظرًا لأن الروح بدورها جسم أثيري على درجة اهتزاز عالية، فإنها بمجرد انفصالها عن الجسد تفقد صلتها بالمادة، وتنتقل إلى العالم الأثيري لتعيش فيه.

وفي هذا المعنى يؤكد على سبيل المثال كل من (Jane Sherwood, (op.cit.p.29' 33 و shaw (Desmond (How you live when you die. 5 the ed p 65 على أن عالم الأثير "الروح" عبارة عن عالم ضخم يفوق عالمنا على الأرض بكثير، وهو يحيط بعالمنا الأرضي هذا وأيضًا يتخلله بما عليه من جبال ومحيطات، دون أن يكون لأيهما تأثير في الآخر، ومن غير أن يحس سكان أيهما بوجود العالم الآخر.. فمن غير المستغرب ترتيبًا على ذلك أن يقال لك أن طريقًا أو حديقة من عالم الأثير يمر خلال منزلك الذي تسكنه على الأرض. أو أن المقعد الذي اعتدت الجلوس عليه في بيتك أو في النادي.. الخ يقع بالنسبة لعالم الأثير على حافة نهر من أنهار عالم الأثير أو في حديقة من حدائقها.. دون أن تحس بذلك.. وعلى ذلك فإن عالم الروح ليس له موقع محدد بعينه، وإنما يمكن القول – بصفة عامة – بأنه يقع في نطاق كوكبنا الأرضي وما يحيط به – وهو ما يتفق مع رأي الصحابي سليمان الفارسي رضي الله عنه الذي قدمناه من أن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت. كما يتفق مع رأي ابن حزم الذي يرى أن مستقر الأرواح في البرزخ حيث كانت قبل خلق أجسادها – وأنها أهبطت من الجنة إلى الأرض مع آدم وحواء تفسيرًا لقوله سبحانه وتعالى:

﴿..قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا..﴿٣٨﴾﴾ [سورة البقرة].

وقد يجدر الذكر هنا إلى أن كثيرًا من علماء المسلمين ومنهم الشيخ العالم محمد متولي الشعراوي يرون أن الجنة التي هبط منها آدم وحواء كانت في عالمنا الأرضي.

وإذا كان قد ثبت علميًا الحركة الدائمة للأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس وأنها تتبع الشمس فى جريانها نحو مركز المجرة وأن جميع الكائنات المخلوقة تتحرك فإنه من الأرجح أن عالم الروح يتبع الأرض فى حركتها وإن كان ذلك لم يتأكد علميًا بالشكل القاطع حتى الآن ولا يزال محل البحث العلمى وعلى أية حال فإنه يكفينا هنا أن نستشف مما تقدم أن عالم الأثير مترامى الأطراف لأن الأثير يملأ جميع الكون المحيط بعالمنا، وهو ما يعنى أن الأرض فى حركتها لا تخرج عن نطاق عالم الروح أو عن نطاق محيطه.

٢ - مراتب البرزخ ومستوياته:

يتفق علماء الروح فيما بينهم أن العالم الروحى "البرزخ" يحوى عدة مراتب Spheres متداخلة بعضها فى البعض، وبمعنى آخر أنها جميعًا تشغل نفس الحيز المكانى، وأن الاختلاف فيما بينها هو اختلاف أو تغير فى درجة الاهتزاز، وتنتقل الأرواح كلما ارتفعت بين هذه المراتب، لأن الروح إذا ما ارتقت وتقدمت ازدادت سرعة اهتزازها، وتمكنت من الانتقال إلى المرتبة الأعلى الملائمة لسرعة اهتزازها.

هذا وقد اختلف العلماء فيما بينهم فى تحديد عدد هذه المراتب **فقال البعض أنها سبع كرات تلى الحياة الأرضية ومنهم على سبيل المثال العالمة جبر الدين كامينز فى مؤلفها "طريق الخلود"** حيث أوردت سبع مراحل تمر بها الروح، بدءًا بالفيزيقى حتى السابعة وهى حالة انعدام الوقت - **وقال آخرون أنها سبعة بما فيها الحياة الفيزيقية التى يعيشها الأحياء على الأرض ومنهم على سبيل المثال الدكتور على عبدالجليل راضى فى مؤلفه "أنت تحيا بعد الموت" وأيضًا داودنج** (Lord Dowding op.cit. p.15) وحيث إن عالم الروح بمراتبه كروى الشكل، ويمثل الأرض بالنسبة للأرواح التى نعيش عليها. لذلك فإن الرأى الأخير فيما يبدو هو الأقرب للصواب لتوافقه مع الدين وحيث يقول الله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ..﴿١٢﴾﴾ [سورة الطلاق].

وقد يؤكد هذا المعنى أيضًا أن الله عز وجل قد جعل الأرض مقرًا للإنسان لحين البعث لقوله جل وعلا:

﴿.. مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ..﴿٥٥﴾﴾ [سورة طه]. وذلك شامل الناس جميعًا الأحياء والأموات. بأجسادهم وأرواحهم وهو ما يؤكده قوله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا .. ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المرسلات].

والكفات لغة هى الوعاء الذى يجمع فيه الشىء، **لذلك فالراجح أن مراتب الروح الست مضافة إليها الأرض هى الأراضى السبع التى عينها الله فى كتابه الكريم.**

ويرجع اختلاف العلماء حول عدد مراتب عالم الروح إلى أنها كلما ازدادت تقدمًا، كلما أصبح - حسب قولهم - الاتصال بالأرواح التى وصلت إليها صعبا الأمر الذى يجعل المعلومات عنها أقل- **أما العوالم التى تلى الأرض مباشرة فهو الأثيرى Etheric، ويليه النجمى أو الكوكبى Asteal ثم العقلى Mental ويلى ذلك عدة عوالم روحية.**

وعلى أية حال هناك اتفاق بين العلماء على أن أدنى هذه المراتب ومستوياتها هو مستوى الجحيم أو العذاب وفيه تعيش الأرواح المتماثلة التى اختارت لنفسها أن تجمع مشاعر الكراهية والحقد والعداء للآخرين، وهى لا تدرى أنها بذلك تقيم حول نفسها سياجًا يحجب عنها الضياء والرحمة كما يقول لورد داودنج (op.cit. p.1b) **وقد يكون هذا المستوى هو ما عرف فى القرآن الكريم باسم سجين** وهو مقر أرواح الكفرة والعصاة. ووفقًا لما ذهب إليه كعب وسليمان الفارسى وغيرهما. وقد لا يلزم أن تبقى الأرواح فى هذ المستوى مدى الدهر، بل إن البعض منها قد يجتهد من أجل الارتقاء والخروج من هذا المستوى. فتمتد عليها بعض الأيدى الرحيمة لتساعدها بالصلاة على ذلك - والخروج من المستوى الأدنى، وهو مستوى الجحيم والعذاب لا يعنى تخلص العاطفة من كل ما بها من نقائص وعيوب، بل إن المستويين التاليين تعيش فيهما أيضًا الأرواح المنطوية والبائسة التى لم تحظ بالقدر اللازم من التطور والانفتاح، ولا تحمل للآخرين مشاعر المحبة والإخاء، أو الرغبة فى مد يد العون والمساعدة، والحياة على هذين المستويين تخلو تمامًا من الشعور بأية آلام. ولكنها حياة توصف بأنها مملة وشبه مظلمة.

وإذا كان من المعلوم أن عدد البشر منذ الخليقة عدد مهول وأن هؤلاء البشر كانوا ولازالوا مختلفو الطباع والأخلاق والاعتقادات. فعلى هذا سيكون لهم أماكن كثيرة تكفى لا يوائهم جميعًا فى ذلك العالم الثانى **كل فئة متماثلة تسكن طبقة معينة، ولا يقصد بالطبقات أماكن مثل أدوار المبانى واحدًا يعلو الآخر مثلا وإنما يقصد بها حالات متباينة بعضها يعلو بعضًا بالمعنى وبالنعيم.. وقد تكون كلها متداخلة مع عالمنا الأرضى الآن ولكن لا نحسن بها.. وإنما يمكن الصعود فيها إذا ما تغير الوعى عندنا فأصبحنا نحس بها واحدة بعد أخرى ومازلنا نحن على الأرض.**

والمفروض أن الإنسان بعد الموت يصل إلى أول طبقة. ثم يواصل الارتفاع إذا كان مؤهلاً لذلك.. ولكن ليس حتمًا على كل شخص أن يعمل ذلك، فأصحاب العقول والقلوب السامية ينتقلون مباشرة إلى طبقات أكثر علوًا قد تكون فى العالم العقلى أو العالم الروحى الأسمى، كما كان الحال مع الأنبياء والصالحين. فلقد روت لنا السيدة أم المؤمنين عائشة أن الرسول ﷺ حيث قارب الموت قال للملائكة المستقبلة على المكان الذاهب إليه (إلى الرفيق الأعلى) أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما.

فالموت هو الغربال العظيم ذو الثقوب المتدرجة الذى يعزل كل فئة عن الفئات الأخرى التى لا تشابهها أو هو الجهاز الحاسب الذى يختار الفئة المتجانسة معًا. وفى هذا قال الرسول ﷺ حين سأله أحد الأعراب عن مكانه فى العالم الآخر فقال له: "أنت مع من أحببت" أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما.

كما قال ﷺ: (.. الأرواح جنود مجندة ما تشابه منها ائتلف. وما تنافر منها اختلف..) ابن ماجة – النيسابورى.

تلك الطبقات متباينة الدرجة منها العالى ومنها السافل وبمجرد موت الإنسان سوف يشعر بمنزلته هناك وفى هذا المعنى قال الرسول أيضًا عليه الصلاة والسلام: (.. إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار..) أخرجه مسلم.

نعم عندما يموت الإنسان ويستقبله ذووه فسوف يأخذونه بعدئذ إلى بيته الذى بناه بأعماله أثناء حياته الأرضية وكان يكونه لبنة لبنة كل يوم وهو لا يشعر. وسوف يجده بيتًا جميلاً وسط حدائق أو بجوار نهر مثلاً لو كانت أعمال طيبة أو يجده حفرة قذرة أو كهفًا مظلمًا مملوء بالحشرات والروائح النتنة لو كانت أعماله سيئة دنيئة.. نعم كل يذهب إلى المكان المناسب الذى اشتراه بأعمال الأرضية قبل موته. فالعملة هناك يدفعها الإنسان مقدمًا وهو فى الحياة الدنيا وذلك بالعمل الطيب. هذا شىء لا شك ولا جدال فيه **وليس هذا المكان بعيدًا عن العالم الفيزيقى من حيث المسافة وإن كان بعيدًا عنه من حيث الذبذبة.**

ويورد لنا الدكتور على راضى فى مؤلفه "اعرف روحك" حوار دار مع روح المرحوم الصحفى فتحى الرملى فى جمعية الأهرام الروحية فى جلسة روحية كالتالى:

– أين تعيش الآن؟

– نحـن نعيـش فى نجمة جميلة.. فالأرواح يمكنها أن تكـون فى الفضاء أرضًا صغيرة يسـكنونها وبجـوار الأرض يكونـون مكانًـا لمحطة ينزلـون بها قبل نزولهـم إلى الأرض وحضورهم هنا. هذه المحطة تشـبه مسـاحة من القطن أو السـحاب يختفون فيها حتى لا يراهم أحد. فالأرواح المتأخرة تسـكن قرب الأرض ويمكنها أن تعاكس الأرواح الأعلى التى تريـد الاتصال بالأرض. لذلك كانت هذه المحطة البيضاء أى المنيرة. **لأن الأرواح المتأخرة تخـاف النور الأبيض.** والآن أنا أشـعر أنى آخذ فى الابتعاد عـن الأرض ولو أنى أحب زوجتى وأولادى.

– أين تقع هذه النجمة؟

– بعيدة جدًا جدًا – لا أعرف بعدها.

– كيف ذهبت إليها؟

– نحن نسبح فى الفضاء بسرعة هائلة. نطير جماعة معًا. إنها مسألة ذبذبات.

– فى أى مكان؟

– لا أعرف. إنه البرزخ بداية التطور. ليس بعيدًا عن الأرض من حيث المسـافة. ولكن بعيدًا جدًا عنها من حيث الذبذبات.

– ما هى المسافة بالتقريب؟

– مثل بعد الأرض عن الشمس عشر مرات.

كما أورد الدكتور المرحوم على راضى أيضًا – نفس المرجع السـابق – ما سـأله الوسيط الشـهير ستانسـن موسـز لروح مرة عن مكان الطبقات الروحية وعن مكان روح كانت قد انتقلت آنئذ حديثًا فكانت الإجابة:

(.. إنها حالات.. وصاحبكم (قس كان قد مات أخيرًا) لم يغادر الطبقة المباشرة للأرض. وإن كان هناك طبقات متشابهة فى أماكن أخرى قرب كواكب أخري. إن الطبقات ما هى إلا ظروف – والظروف المتشـابهة قد تتواجد فى أماكن كثيرة.. والفضاء كما تسمونه مملوء بمنازل الأرواح..).

والعالم الأثيرى قريب الشـبه بالأرض، وفيه تتمسـك الأرواح بأن تحيا بنفس الأسلوب الذى ألفته فى حياتها الدنيا. ويكون الانتقال لهذه المرتبة لفترة محدودة، إلى حد أن بعض العلماء يغفلون ذكرها. فهذه المرتبة تمثل بالنسبة لغالبية الأرواح المتقدمة حجرة الاستقبال أو مكان التجمع Ante Room والراحة (Jane Sherwood op.cit. p.16) **وهو ما يذكرنا بما رواه ابن القيم فى الروح** من حديث الرسول ﷺ **حيث قال:**

(.. إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا، فيقول انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان فى كرب شديد فيسألوه ماذا فعل فلان.. فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال إنه قد مات قبلى. قالوا إنه لله وإنا إليه راجعون. ذهب به إلى أمه الهاوية..).

وتنتقل الأرواح بعد ذلك إلى المرتبة التالية لها وهى المرتبة النجمية أوالكوكبية. بعد أن تتخلص من جسمها الأثيرى الذى يربطها إلى حد كبير بالحياة الأرضية. ويكون انتقال الروح فى **هذه الحالة بواسطة جسمها النجمى أو العاطفى emotional وهو عبارة عن جسم مضىء تسكن فيه أجسادنا نطلق عليه الهالة، وقد أمكن تصويره حال الحياة الدنيا على نحو ما قدمنا من قبل.**

وتنقسم هذه المرتبة إلى عدة مستويات. فتصعد الروح خلالها حسب درجة اهتزازها. أى طول الوحات الصاعدة منها والتى تتحدد بدورها تبعًا لمكانتها العاطفية عند الوفاة.

والجسد العاطفى أو الكوكبى عبارة عن جسم هلامى Fluidical. يتأثر بكل المشاعر والأحاسيس التى تمر بالإنسان فى حياته. وتترك هذه المشاعر والنزعات انطباعها الإيجابى أو السلبى على هذه العاطفة تبعًا لمدى عمقها. سواء أكانت هذه المشاعر والنزعات خيرة أم شريرة. فكلما كان الإنسان حقودًا. أو محبًا لذاته. أو عدوانى الميول. أو سريع الغضب. أو شديد الخصام. كلما كان لذلك أثره الضار والواضح على العاطفة. وعلى ضوء حالتها عند الموت يكون تحديد مكانتها فى عالم الروح ومن أجل ذلك تعنى الأديان ورسالاتها السماوية فى الحياة الدنيا بالحث على التخلص من الخوف أو الكراهية أو الغضب. أو من الانغماس فى المتع المحرمة. وذلك عن طريق المحبة لله وللخير ولجميع البشر.